

جريدة « لوموند » الفرنسية

تشيد بالدولة اللبنانية

تحت عنوان « لبنان يحتفل بحرارة بعيد استقلاله » ، كتبت جريدة « لوموند » اليومية الفرنسية مقالاً طويلاً نوّهت فيه بالحرارة التي تميز بها عام ١٩٦٢ الاحتفال بعيد الاستقلال ، وبالأقبال الشعبي الحماسي الحاشد لمشاهدة العرض العسكري ، وقالت :

كان لا بد من عامل مهم لبعث هذه الحماسة في نفوس اللبنانيين . ذلك انهم سرعان ما بدأوا يشعرون بمسئوليات السيادة الوطنية الكاملة غير المشروطة ، بينما لا تنفك الدول العربية المحيطة بلبنان ، عرضة لتقلبات النظم الملكية او الدكتاتورية .

ولا نجد في الشرق الاوسط رئيس دولة يوجه الى مواطنين خطاباً كالذي وجهه رئيس جمهورية لبنان اللواء فؤاد شهاب ، بمناسبة عيد الاستقلال الى الشعب اللبناني .

تلك هي الدولة في لبنان . الدولة في خدمة الفرد ، وليس العكس كما هي الحال في معظم بلدان المنطقة .

وفي الواقع ان الدولة لا تستطيع تحقيق اي شيء دون معاونة مباشرة وتلقائية من كل مواطن . ويحرص رئيس الجمهورية دائماً على افهام وزرائه والمسؤولين عن مختلف

قطاعات الحياة العامة ، انه لا يريد التفرد بإدارة الشؤون العامة .

وحتى عندما طلب اليه تسوية النزاع المسلح بين فئتين من اللبنانيين عام ١٩٥٨ ، كانت سياسة رئيس الدولة اللواء فؤاد شهاب ، حمل المتنازعين على الاتفاق دون ان يضطر الجيش الى التدخل في النزاع .

وهذه السياسة الحكيمة يعتبرها اللبنانيون احدي ركائز الديموقراطية التي يتميز بها العهد الحالي في لبنان .

ولهذه السياسة دون ريب محاذير ، لان القرار الذي تتخذه الدولة يتطلب بعض الوقت لكسب تأييد مختلف الاتجاهات السياسية في البلاد ، بينما يقتضي احياناً ، تحديد موقف من حكومة جارة او شقيقة ، ويكون متوقفاً على ذلك مستقبل العلاقات بين البلدين .

ومن أجل الحفاظ على الوحدة الوطنية رأينا لبنان الرسمي يقف موقفاً حيادياً حيال التيار الناصري ، بينما كانت الفئات الشعبية تؤيد هذا الاتجاه او تعارضه .

ومن الناحية العملية لم تكن النتائج دائماً ترضي العواصم العربية اذ تعكس جو العلاقات قليلاً بين بيروت من جهة ، ودمشق وعمان وبغداد والرياض من جهة اخرى ... ولكن ذلك كان في الواقع فدية وحدة اللبنانيين .

وتظهر فعالية العهد الشهابي في الحقل الداخلي . فقد طرأت على هذا القطاع تبدلات جذرية غيرت الاطارات القديمة

غير الصالحة .

وقد تمشى العهد الشهابي على سياسة التوسع الاقتصادي ،
واسس سياسته على دراسات فنية قامت بها بعثة « ايرفد »
الفرنسية .

ومن أهم أهداف هذه السياسة جعل جميع المناطق اللبنانية
متساوية اقتصادياً . فقد كانت هناك مناطق لبنانية مختلفة
تختلف بوضعها عن باقي المناطق المزدهرة . فاراد الرئيس
شهاب ازالة هذا التفاوت . ويمكن القول ان عمله في هذا
الميدان قد جاوز كل ما فعله حكام لبنان السابقون - قبل
الانتداب وبعده - بغية رفع مستوى عيش اللبنانيين وجعلهم
يحتلون مركزاً اقتصادياً واجتماعياً مرموقاً .

لبنان بلد جديد ومتضامن

تحت عنوان « بلد جديد ومتضامن » كتبت « جون
افريك » تقول :

في بيروت رجل عسكري يعلم الديمقراطية للمدنيين . انه
لحدث فريد من نوعه في الشرق الاوسط .

في ٢٢ تشرين الثاني غصت شوارع العاصمة اللبنانية والمدن
والقرى بالجماهير المهللة التي احتفلت كما لم يسبق لها من قبل ،
بعيد استقلال البلاد . ان اللبناني شديداً التعلق « بالفردية »

ولكن في هذا اليوم من الابتهاج الوطني كان اللبنانيون شعباً
وافراداً يؤلفون وجهاً واحداً ، وشعوراً واحداً ، ان الشعور
الذي كان يحرك ابناء المدينة واهل الجبال معاً هو الشعور بعودة
الوحدة التي افتقدوها سابقاً . ولقد كان طبيعياً ان يتجه جميع
اللبنانيين في هذه المناسبة بالعرفان نحو اللواء فؤاد شهاب اول
مناصر للبنان متآخ .

قبل عام ١٩٥٨ كان ازدهار لبنان ونزاعاته الطائفية ،
التي شكلت نبضات حياته اليومية ، يشير بين الاجانب
تعليقات لم تكن دائماً محببة . فكان البعض لا يتورع عن
القول : ان النزاعات بين اللبنانيين مهما كان عنقها ليست الا
عرضاً فولكلورياً وان اي عمل ناجح يكفي لمصالحة الاخوان
الاعداء وجمعهم حول مائدة فخمة او مكتب صراف . ولكن
بالرغم من كثرة المواضيع المختلف عليها كان اللبنانيون يحافظون
على وحدتهم الشكلية .

وحول لبنان كانت البلاد الداعية للوحدة ترى نفسها
مزقة بازمات لا حل لها وبتدخلات اجنبية ، ومنازعات الفئات
التي تتألف منها .

هل كان لبنان بكل متناقضاته ورغباته وايضاً بتوازنه
وثروته صورة مصغرة للعالم العربي ، او كان شواذاً للقاعدة
العامة ؟ ألم يكن هذا البلد أصغر من أن يتسع على السواء
لتصلب كميل شمعون من جهة وتصلب كمال جنبلاط من جهة
اخرى ؟ هل هذا البلد ، وبتحليل آخر ، هو كفاية عن تكوين

اصطناعي او كيان قابل للحياة ؟

جميع هذه التساؤلات كانت تحتاج الى اجوبة . واللبنانيون كانوا يعلمون ذلك اكثر من غيرهم . وحوادث صيف ١٩٥٨ كادت ان تذهب بلبنان ، ولكن في الواقع اكدت هذه الحوادث قدرة لبنان على العيش كأمة ، وقدرته على تنظيم نفسه كدولة ، وانه يستحق ديموقراطيته .

لقد جابه اللبنانيون بعضهم بعضاً والاسلحة بأيديهم لمدة ستة أشهر . وفي بغداد سقطت الملكية وسط بركة من الدماء . وفي دمشق كان ناصر ، كل يوم وبدون كلل ، يدعو ويصر على وحدة العرب الشاملة . وفي الاردن كانت الفتنة تحاك ، وتنتقل حتى وصلت للجيش وهددت العرش . لقد كانت مناخ الثورة يطفئ على منطقة الشرق الاوسط بكاملها .

وفي هذه الفوضى العمياء ظن الشعب اللبناني ان ساعة هلاكه قد دقت . في بيروت كانت بحالة طوارئ ، وفي شوارعها القلقة والحالية كانت أصوات القنابل المتقطعة تشير الى حوار اصبح مستحيلاً . فاسباب الخلافات كانت عديدة ولم تكن تقتصر على التقسيم التقليدي للطوائف ... ففي الواقع كان عدد كبير من المسيحيين يقفون الى جانب المسلمين كرهاً بسياسة شمعون ، ومن جهة اخرى كان هناك مسلمون خافوا من التطرف الناصري فانضموا الى المسيحيين في صراع لم تكن المصالح العائلية والعصية غريبة عنه .

لقد سجل نزول رجال البحرية الاميركية ذروة التأزم ،

وفي الوقت نفسه ذروة الوعي واليقظة ... ففي هذا الوقت فهم اللبنانيون جميعاً ان مصلحة بلدكم هي في الحفاظ على انفسهم وليس في مذابحهم .

ومن اجل ان تلتئم الجراح كان لا بد ان يتدخل رجل لم تلتطخه المعارك . لقد قال اللواء شهاب : « لا غالب ولا مغلوب » ، وبهذه الذهنية وبها فقط قبل ان يباشر العمل . فقبل ذلك كان يحرص على ان لا يزوج الجيش بمعارك يقتل فيها الأخ أخاه . كان عليه كي يزيل الانشقاق ان يجمع بين رجال كرهوا بعضهم بعضاً حتى الموت . وقد توصل الى ذلك .

ان لبنان يملك دستوراً كان يعتبر مثالياً . ولكن ، لعدة اسباب ، كان هذا الدستور اطاراً دون محتوى قيم . فالاتجاه الديموقراطي كان يعرقه ولاء البعض للاشخاص ولمصالحهم الشخصية واساليبهم القديمة . ولكن اليوم - وهذا هو الحدث الجديد - فقد تغيرت الاحوال .

فلبنان خرج مجدداً شباباً من تجربة القتال ، التي مر بها ؛ فهو محايد تجاه القوى الكبيرة ، ولقد تعلم ان يكون محايداً ايضاً تجاه الحركات التي تغرق العالم العربي . وهو محايد ايضاً واخيراً تجاه حلفائه السابقين والذين ساعدوا على الوصول به الى تلك المأساة . وهذا الحياء المتنوع لا يقوم على عدم الاهتمام ، ولكن على احترام الغير .

ولتوضيح اسلوب الرئيس شهاب الذي حقق هذه المعجزة

استشهد صحفي لبناني بقول بول فاليري : انظر كيف تلف
السيجارة في اليد ، اننا نلفها ونحن نعبث بها .
ان سر السياسة الشهابية يقوم كما يبدو على هذا
« التآرجح المتجه نحو الافضل » . وبارجاءه التألف انى الشعب
اللبناني استطاع الرئيس شهاب ان يوطد الوحدة الوطنية .
لقد اتقذ اللبنانيين بهذا الوضع ، وعرف كيف يقودهم دون
عنوة لبناء دولة حديثة . وبعيداً عن الاطماع كان يعتبر فؤاد
شهاب رجلاً متشائماً . وقد جعل منه الحكم - - وذلك لصالح
لبنان - - رجل خير وبناء .

لبنان سويسرا الشرق

وكتبت مجلة « جون افريك » الصادرة باللغة الفرنسية ،
مقالاً اقتصادياً بعنوان : « لبنان سويسرا الشرق » ، قالت
فيه :

في خضم النزاعات العربية التي تحيط بلبنان ، نراه رغم
ذلك ثابتاً مستقراً وفي تقدم وازدهار ، مع انه في الواقع لا
يشكل مدرسة اقتصادية يحتذى بها ، وهذا يعود لظروفه
الخاصة . فهو واحة سلام لرؤوس الاموال التي تسمى وراء
الامان .

وثرورة لبنان الحقيقية تكمن في قوة مصارفه الخاصة